عجائب الدنيا

السبع .. القديمة

المكتبة العلمية للشباب

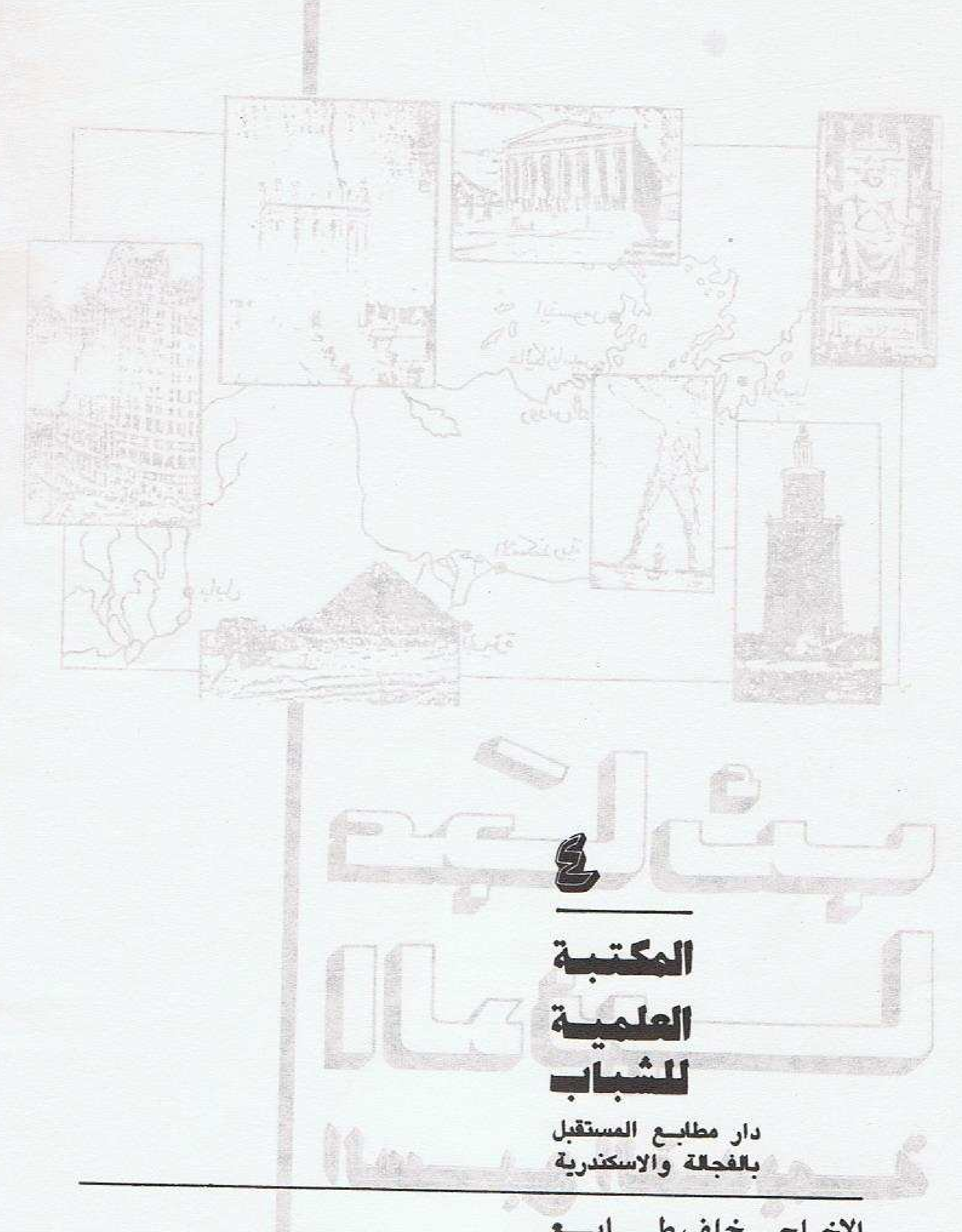


دار ومطابع المستقبل



عجائب الدنيا

السبع القديمة



ع

المكتبة العلمية للشباب

دار مطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

الاخراج : خلف طـــايـــع

مقدمة

إن أول ما يلفت النظر فى عجائب الدنيا السبع القديمة ، هو أنها كلها من المعجزات المصنوعة . التى لا دخل للطبيعة فيها . وهى تشير ، لهذا السبب ، إلى عبقرية صانعيها . ويقف المشاهد أمام كل منها ، مأخوذا ومشدوها بعظمتها .

وطبيعى أن العالم القديم كان يزخر بعدد غير قليل من أمثال هذه العجائب . وأن كلا منها كان شاهداً ، فى هذا الوقت المتقدم ، الذى لم تعرف أو تنتشر فيه العلوم والتكنولوجيا ، على عظمة أصحابها الذين أقاموها . فالمعارف كانت محدودة . ويد الإنسان قاصرة .

فإذا كانت العجائب كثيرة كما نقول ، فلماذا اشتهرت هذه العجائب السبع وحدها ؟!

إن السبب فى هذا هو أن العالم الرياضى « فيلون » البيزنطى Philon الذى كان أول من أشار إلى هذه العجائب ، قد حددها بذلك الرقم المفرد وذى الدلالة السحرية فى العالم القديم . فكتب ، قبل ميلاد المسيح ، بقرن ونصف القرن ، كتاباً شهيراً باللاتينية ، جعل عنوانه De Septem Orbis Spectaculis .

وطبيعى أن « فيلون » قد عاين خلال أسفاره عجائب كثيرة . ولكنها لم تنل عنده مثل الإعجاب الذى نالته هذه العجائب السبع :

١ - هرم خوفو الأكبر .
٢ - منارة الاسكندرية .
٣ - حدائق بابل المعلقة .
٤ - تمثال رودس العظيم .
٥ - مدفن موزولاس فى هاليكارناسيس .
٦ - هيكل ارتيمس فى ايفسوس .
٧ - تمثال زيوس فى أوليمبيا .

فهذه القائمة التى بين أيدينا ، على شهرتها ، قائمة خاصة « بفيلون » . ووجودها لا يمنع وجود قوائم أخرى لغيره من القدماء ، بل ومن المحدثين . وقد سمعنا أن بعض القدماء قد اعتبر سور الصين القديم ، وتاج محل ، وغيرهما ، من العجائب . وأن بعض المحدثين قد اعتبر مبنى « الأمبير ستيت » فى نيويورك من العجائب . ولكننا نقصر حديثنا فى هذه الصفحات على عجائب « فيلون » دون غيرها .

وجدير بالملاحظة ، أن جميع عجائب « فيلون » ، فيما عدا هرم خوفو الأكبر ، كانت من العجائب التى أخرجتها القرون التى عاش فيها « فيلون » . وأنها كلها ، ماعدا هرم خوفو الأكبر ، مرة أخرى ، قد اندثرت بعد ذلك . وما نعرفه عن أكثر هذه العجائب الآن ، يعود إلى آثارها أو بقاياها . أو ماسمعناه عنها . وفى حالة تمثال رودس العظيم ،

فإن معلوماتنا عنه لا تخرج عما تقاطر إلينا عنه من أوصاف كلامية متناثرة .

ويلاحظ أن عجائب « فيلون » السبع ، تشترك كلها فى عدة أشياء . فإنها ، كلها ، تقع فى شرقى حوض البحر الأبيض المتوسط . وقد كانت هذه المنطقة هى مركز المدنيات القديمة وموئل حضارات العالم .

وهى كلها ، وفيما عدا منارة الاسكندرية ، وربما أيضا حدائق بابل المعلقة ، معابد أو مدافن قديمة ، أى كانت تمت للأديان القديمة بصلة ما . ولهذا ، فإن إعجاب « فيلون » وغيره بها ، ربما عاد إلى عنصر الدين ، بالإضافة إلى ما رآه ، هو وغيره ، فيها من عظمة جمالية أو معمارية أو علمية .

١ هرم خوفو الأكبر

هرم خوفو الأكبر ، مقبرة ضخمة ، وهو أكبر ، وأقدم المقابر التى عرفها أو بناها الإنسان قديماً أو حديثاً . وقد قدرت المساحة التى تشغلها قاعدة هذا الهرم بما يجاوز المساحة التى تشغلها كاتدرائيات سانت بيتر (بروما) وويستمنستر (بانجلترا) ونوتردام (بباريس) وكاتدرائيتى فلورانسا وميلانو مجتمعة .

ويلاحظ أن هرم خوفو الأكبر ، هو أقدم العجائب السبع ، بل هو أقدم منها كلها بما يزيد على ٢٠٠٠ سنة . ومع ذلك ، فهو الوحيد الباقى من بينها . وربما كان السبب فى هذا هو حجمه الضخم . والأحجار الهائلة التى بُنى منها . وبعده النسبى عن العمران .

وليس هناك عمل آخر فى تاريخ المنشآت الإنسانية ، نال ما ناله الهرم الأكبر من شوق لرؤيته وإعجاب بعظمته . وقد سماه الإغريق هرم Cheops . وزاره وكتب عنه أهم علمائهم ورجالاتهم . وكان من أوائل هؤلاء « هيرودوتس - Herodotus » الذى كتب عنه منذ حوالى ٢٢٠٠ سنة :

« وقد احتاج المصريون لبناء الهرم الأكبر إلى أن ينفقوا ١٠ سنوات فى حفر قناة أحاطوا بها مكان بنائه ، فجعلوه جزيرة تتصل المياه المحيطة بها بمياه النيل . ثم احتاجوا لعشرين سنة أخرى لإقامته هو نفسه . وهو مربع عند القاعدة . يصل ارتفاعه إلى ٨٠٠ قدم . وهذا هو نفس طول كل ضلع من ضلوع قاعدته . وقد صنع من قطع حجرية مصقولة الجوانب ، وليس من بينها ما يقل طوله عن ٣٠ قدما » .

ويلاحظ أن الأرقام التى أوردها « هيرودوتس » ، وتلك التى أوردها من بعده بأربعمائة عام « ديودورس » الصقلى Diodorus لا تطابق ارتفاع وأطوال ضلوع الهرم كما نراها الآن . وهذا راجع إلى الدقة التى نستطيع بها الآن حساب هذه المقاييس .

وربما أيضا إلى التدمير والنحر الذى أصابا أجزاء منه . فإن ما بيننا وبين « هيرودوتس » من زمن يكاد يقارب ما بين « هيرودوتس » ووقت بناء هرم خوفو الأكبر . وعندما نظر « هيرودوتس » للهرم ، منذ ٢٢٠٠ سنة ، كان لا يزال مغطى بالقشرة الجيرية التى زالت عنه الآن تماماً ، إلا من جزء صغير فى ركنه الشمالى .

فما نراه الآن هو « بطن » هذا الهرم . وارتفاع هذا « البطن » الحالى هو ٤٨١,٠٤ قدم . وطول ضلعه الشمالى ٧٥٥,٤٢ قدم . والجنوبى ٧٥٦,٠٨ قدم . والشرقى ٧٥٥,٨٨ قدم . والغربى ٧٥٥,٧٧ قدم . وهذه الضلوع يواجه كل منها الجهات الأربع الرئيسية .

وقد قدر سير « فليندرز بيترى » ، أن الضلع الشمالى يميل بخطأ جنوبى عن الغرب ، مقداره ٢ َ, ٠ ٢٨ ً . وأن الضلع الجنوبى يميل بخطأ جنوبى عن الغرب ، مقداره ١ َ, ٠ ٥٧ ً . وأن الضلع الشرقى يميل بخطأ غربى عن الشمال ، مقداره ٥ َ, ٠ ٣٠ ً . وأن الضلع الغربى يميل بخطأ غربى عن الشمال مقداره ٢ َ, ٠ ٣٠ ً . والحد الأقصى لهذه الأخطاء هو ١/١٢ من الدرجة .

وتكاد زوايا الهرم الأربع أن تكون مثالية . والانحراف فيها عن الزاوية القائمة لا يتجاوز ١/٢٠ من الدرجة . والركن الجنوبى الشرقى من هرم خوفو الأكبر لا يعلو عن الركن الشمالى الغربى بغير نصف بوصة . والفرق بين أطول الضلوع وأصغرها لا يتعدى ثمانى بوصات . بخلل لا يجاوز ٠,٠٩ ٪ .

ولعل هذه الدقة ، والضخامة أيضا ، هى أكثر ما يميز الأهرامات المصرية عن غيرها من الأهرامات ، كالأهرامات المكسيكية والسيلانية وغيرها . ويلاحظ أن فى مصر ، لا هرم واحدا ، أو عشرة ، أو مئة ، أو ألفا . وإنما ألوف الأهرامات .

فقد مرت مصر بألف عام ، سيطرت عليها خلاله حركة بناء الأهرامات . وقد بدأ هذا العصر من زمن الملك زوسر ، منذ

٢٨٠٠ ق . م . وانتهى فى زمن الأسرتين ١٢ و١٣ منذ ١٧٠٠ ق . م .

ولكن عدد الأهرامات الكبيرة فى مصر ، لم يجاوز قط ٨٠٠ هرم . وأكبرها هو هرم خوفو بالجيزة ، وهرم سنفرو المائل بدهشور . وهو يكاد يماثله فى الحجم . ولا يزال يحتفظ بقشرته الجيرية الخارجية التى زالت عن الأول .

كان هرم خوفو الأكبر هو الذى شد منذ أزمان سحيقة الانتباه . وأخذ مشاهدوه يفكرون ، كلما نظروا إليه ، فى الطريقة التى بُنى بها . يقول « هيرودوتس » :

« وقد كان على صناع الهرم أن يدفعوا أحجاره من الصحراء العربية ، فى شرقى النيل ، ثم يحملونها على السفن فوق مياهه ، ويعيدون دفعها مرة أخرى عبر الصحراء الليبية ، حتى موقعه الحالى . وكان العمل يجرى فى نوبات ، مدة كل منها ٣ شهور . وعدد أفراد كل نوبة منها ١٠٠٠٠٠ رجل . وقد احتاجوا إلى ١٠ سنوات من هذا العمل العبودى كى يتموا الطريق الذى استخدموه بعد ذلك فى نقل الأحجار إلى موقع البناء . وهو عمل لا يقل فى عظمته فى نظرى عن بناء الهرم ذاته » .

ويكرر « ديودورس » ما قاله « هيرودوتس » ، فيقول :

« والهرم مربع القاعدة . وكل ضلع من ضلوع قاعدته ٧٠٠ قدم . وهو يرتفع فى السماء حوالى ٧٠٠ قدم ، تميل خلالها جوانبه ، وتتدبب فى نهايتها . وقد بُنى كله من الأحجار الصلبة ، وبطريقة شاقة ، ولكنها ضمنت له البقاء . لأنه خلال الألف عام التى قيل إنها قد انقضت على بنائه ، لم تتحرك أحجاره من مكانها الأصلى وبقى الهرم سليماً » .

ويلاحظ أنه عندما كتب « ديودورس » هذه الكلمات ، كان قد مضى قرابة ٣٠٠٠ سنة على بناء هرم خوفو الأكبر .

وأما « بليني - Pliny » فان إعجابه بالأهرامات لم يكن كبيراً . فلم يخف عند التحدث عنها عنجهيته الرومانية . وقال :

« ويجب أن نذكر أيضا مع اللعنة ، أهرامات مصر ، التى أضاع ملوك تلك البلاد فى بنائها مواردها ، من أجل أبنية لا نفع من ورائها . ومن هذه الأهرامات التى تركوها ، ما هو كامل الصنع . ومن بينها ما لم يتم بناؤه » .

وقد رد « ليونارد كوتريل » على اتهام « هيرودوتس » ، بأن بناء الأهرامات قد قام على العبودية ، فردد بحوث المصرلوجى « محمد بكير » من أن مصر لم تعرف العبودية . وقال إن العبودية قد عُرفت بعد ذلك ، واشتهرت عن بابل وأشور . وقال كوتريل إنه لا محل للتحدث عن العبودية فى وقت لم تعرف فيه النقود . وكل ما كان يحتاجه الإنسان هو طعامه وشرابه وسكناه .

ورد « كوتريل » أيضا على اتهام « بليني » بأن الجهود التى بذلت فى بناء الأهرامات قد ضاعت هباء . فذكره بأن فرعون لم يكن ملكا ، وإنما كان إلها للمصريين . يخدمونه فى حياته الدنيا ، كما يخدمونه فى حياته الأخرى . عندما يصعد إلى « أبيه » إله الشمس « رع » ويصاحبه بعد ذلك فى رحلته اليومية .

والحياة فى عالم المصريين القدماء هى العالم الآخر ، كانت تقوم على وجود مادى يتمتع فيه فرعون ، ورعاياه ، بكل مباهج

الجسم ، وحاجاته ، وامتيازاته ، فى الحياة الأرضية . وتخليد المصريين القدماء لفرعون ، لم يكن لهذا السبب عبودية لهم .

وإنما كان جزءاً من حياتهم الدينية . وكان تخليداً لأنفسهم كما هو تخليد لفرعونهم .

ولهذا احتاج المصرى القديم إلى أن يحفظ جسمه ، كى يبقى سليماً وصالحا للحياة الأخرى . وقد أجاد لهذا السبب التحنيط بما لا مزيد عليه . وزود مدفنه بالتماثيل التى تشبهه ، احتياطا لما قد يحدث لجسده .

واحتاج الفراعنة لهذا السبب أيضا ، إلى مدافن ضخمة وقوية . يضعون فيها مع مومياواتهم الطعام والشراب ،

والملابس والحلى ، والخدم والعمال والجنود . وكذلك صورهم وتماثيلهم . ولم ينسوا أن يقيموا إلى جانب كل هرم معبداً ، يقوم على حراسته الكهنة . ومبنى آخر يحتفظون فيه بمراكب الشمس التى ستنقلهم إلى العالم الآخر .

وقد اكتشف المعبد المقام إلى جانب هرم خوفو الأكبر . ووجد كمال الملاخ فى عام ١٩٥٤ مركب الشمس إلى جنوبه . وكانت من خشب السيدر . وطولها ١٤٢ قدماً .

وإلى جانب أهرامات الجيزة ، بنى المصريون القدماء « أبو الهول » من رأس إنسان وجسد أسد ، كى يحرس المنطقة كلها ، بأهراماتها ومعابدها . وطول « أبو الهول » ٥٥ متراً . وارتفاعه عند قمة رأسه ٢٠ متراً .

وهناك ملاحظة أخرى لاحظها العالم الانجليزى « ميندلسون » هى أنه إذا كان كل فرعون من فراعنة مصر ، قد بنى هرماً كى يُدفن فيه ، فلماذا نجد أن أعداد الأهرامات تزيد على أعداد الفراعنة ؟

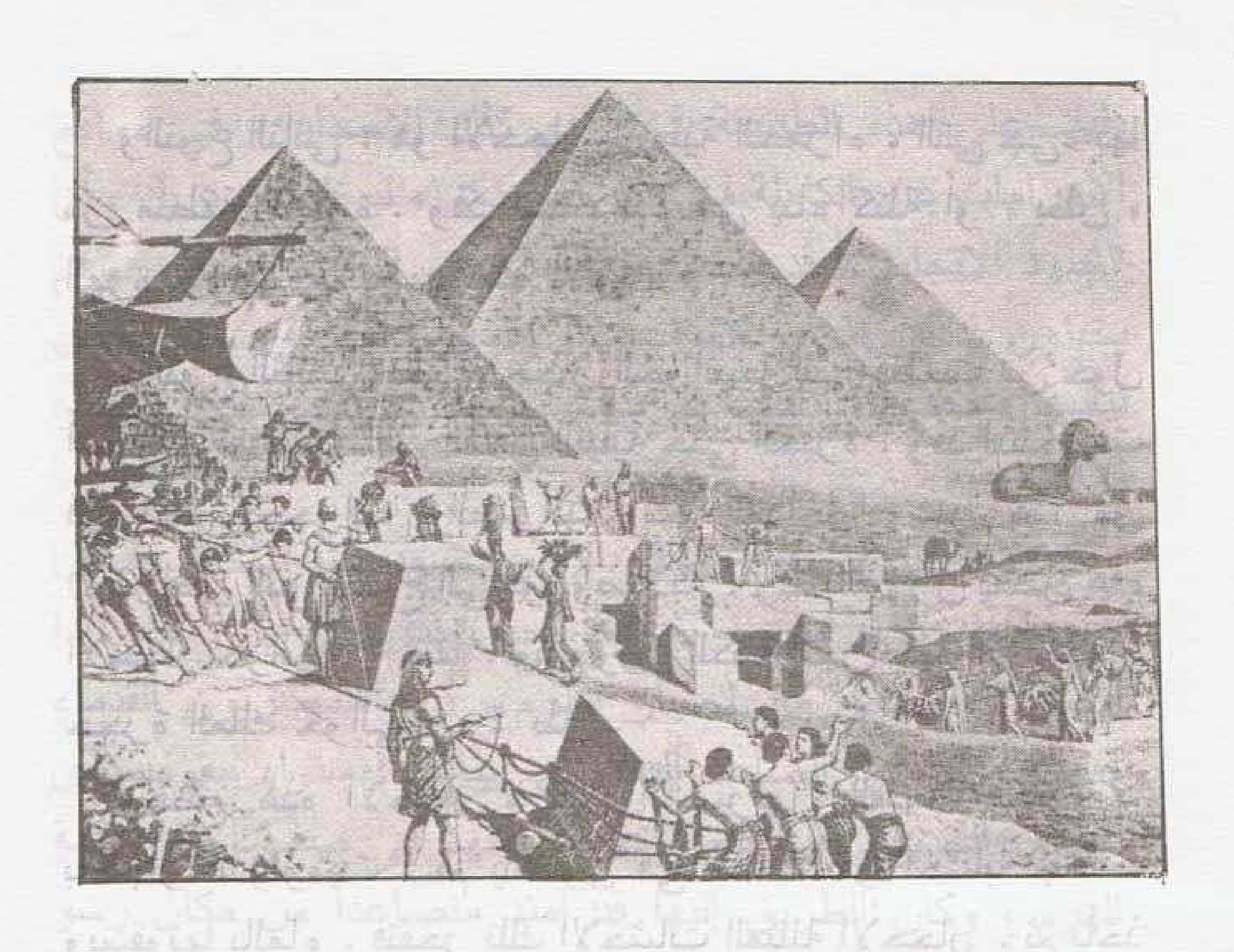
ويجيب « ميندلسون » : إن بناء الأهرامات لم يقتصر الغرض منه على دفن الفراعنة . وإنما كان فراعنة مصر ، يحاولون ببناء أكثرها أن يشغلوا أوقات رعاياهم ، ويحركوا اقتصاد البلاد . حين تتوقف الحياة الزراعية خلال أشهر الفيضان الثلاثة فى كل عام . ولهذا كان فرعون يقوم ببناء الهرم حتى يتمه ، فيبدأ فى بناء هرم آخر . وهكذا . فإذا مات ، لم يتم رعاياه فى أغلب الأحيان بناء هرمه . وتركوه غير كامل . والتفتوا لبناء هرم فرعون الجديد . ولكنه إذا عاش ، أخذ يبنى هرماً بعد آخر . ولم يكن يدفن بالطبع إلا فى واحد منها .

* * *

وقد بدأ خوفو بناء هرمه الأكبر عقب اعتلائه العرش . وحشد لهذا الغرض مئات الألوف من الفلاحين ، الذين عملوا فى نوبات ، أكبرها عند إغراق الفيضان للأرض الزراعية . وأما المهندسون والرؤساء والكتبة ، فقد عملوا فى بنائه بصفة مستمرة . وقد عرف المصريون القدماء الحيوانات المستأنسة . ولكنهم لم يعرفوا حيوانات الجر . وكان اعتمادهم على سواعدهم كاملا . إذ أنهم لم يعرفوا أيضا العجلة ، أو غيرها من الأدوات .

ولكنهم استخدموا الروافع الخشبية وبعض الآلات الحجرية والنحاسية .

وقد بُنى الهرم على مساحة تقارب ، وقت بنائه ٢٠ فدانا . وكان طول كل ضلع من ضلوع قاعدته حوالى ٢٢٧ متراً . وكان ارتفاعه حوالى ١٦٠ متراً .



وقد استخدم فى بنائه ٢٣٠٠٠٠٠ حجر ، يتراوح وزن الواحد منها ما بين ٢ و١٥ طنا . وقد قدر نابليون ، عندما زار الهرم (وتسلقه حتى قمته) أن أحجاره تكفى بناء سور بعرض قدم واحدة وارتفاع ١٠ أقدام ، يحيط بكل مساحة فرنسا . وذكر بعض البحاث ، أنه لو قطعت أحجاره كتلا مستطيلة ، يبلغ عرض كل منها ١٠ أقدام ، لأحاطت بثلثى الأرض .

وتتألف أحجار هرم خوفو الأكبر من ثلاثة أنواع ، النوع الأول : هو الذى صنعت منه قشرته الخارجية . وقد جىء بها من الجبال المحيطة بشرق القاهرة . وقد فقدت أكثر هذه القشرة على مدى القرون التالية . واستخدمت كثير من أحجارها فى بنايات القاهرة والجيزة وغيرهما .

والنوع الثانى : هو الأحجار الرملية الحمراء ، التى جيء بها من منطقة الجيزة . وقد استخدمت فى بناء كتلة أو « بطن » الهرم ، وهى ما يظهر منه الآن .

والنوع الثالث : هو الأحجار الجرانيتية التى قطعت من حول أسوان . ثم نقلت على السفن النيلية حتى الجيزة . وقد استخدمت في بناء الحجرات والممرات وسد المداخل وغير هذا من الأغراض التى تحتاج إلى قوة وصلابة . وقد بلغ وزن بعض هذه الأحجار حوالى ٥٠ طناً . وبلغ وزن الكتلة الجرانيتية التى تغطى حجرة الملك حوالى ٤٠٠ طن .

ولقطع هذه الأحجار ، كان المصريون القدماء يحفرونها بأحجار الدولوميت . ثم يدخلون فى هذه الحفر أخشاباً جافة . ويسقونها بالماء . فتفجر تلك الأخشاب المبللة الأحجار . ثم يأخذ العمال فى تسويتها وصقلها بالكوارتز .

وقد وجد « بيترى » أن أقصى اختلاف فى قطع أحجار هرم خوفو الأكبر عن الخط المستقيم ، لم يجاوز ١/١٠٠ من البوصة . وقال إن هذه الكتل الضخمة قد قربت بعد ذلك من بعضها البعض « حتى أصبح متوسط الاتساع بينها ١/٥٠ من البوصة » . وأن المصريين القدماء قد استخدموا مزيجا حجريا لمساعدتهم على دحرجة هذه الأحجار . ومزيجا آخر (أسمنتيا) لتثبيت بعضها إلى جانب بعض .

وقد مد المصريون القدماء ، من القناة المائية التى حفروها ، وتحدث عنها « هيرودوتس » ، إلى منطقة العمل ، طريقاً متصاعداً بعرض ٦٠ قدماً . وكانوا يدحرجون كتل الأحجار فوقه ، خطوة بعد خطوة ، بآلات (يريد « هيرودوتس » ، تحريكها فوق جذوع الأشجار المستديرة بالروافع والحبال) حتى وضعوها فى أماكنها المحددة فى البناء . وقد وجد مصطفى غنيم

دليلا على هذه الطريقة فى رفع كتل الأحجار ، فى مواقع الأهرامات غير الكاملة فى سقارة . وذكر « ليونارد كوتريل » أن الجنود الانجليز ، قد وجدوا خلال الحرب العالمية الثانية ، وهم يخبئون ذخيرتهم فى كهوف جبل المقطم القديمة ، بقايا حبال نباتية ضخمة « استخدمها قدماء المصريين فى جر أحجار الأهرامات » .

وكانت جوانب هرم خوفو الأكبر تصعد مائلة للخلف ، مثل غيرها من الأهرامات ، بزاوية انحناء قدرها ٥٢° . حتى إذا اكتمل بناء طابق من أحجار الهرم ، رفع المصريون القدماء منسوب الطريق الصاعد إليه ، كى يتلاءم مستواه مع مستوى الطابق الجديد . فإذا بلغوا نهاية عملهم فى صف أحجار قمة الهرم ، وكان الطريق إليها قد امتد متصاعداً من مكان رسو السفن ، أخذوا فى تغطية القمة بالطبقة الحجرية الخارجية . ثم أزالوا جزءًا من الطريق ، وغطوا الطبقة التى تحتها . حتى إذا بلغوا قاعدة الهرم ، كانوا قد أزالوا كل طبقات الطريق الذى سبق أن مدوه لبنائه .

وهنا تظهر عدة تساؤلات . فإن بعض أحجار هرم خوفو الأكبر ، قد بلغ وزنه أكثر من ٥٠ طناً . فكيف أمكن جر هذه الأحجار ، ورفعها على هذا الطريق ، من دون مساعدة آلية أو حتى حيوانية ؟ كذلك قدر بعض الخبراء أن مثل هذا الطريق الذى وصفناه يحتاج من مواد البناء ، ووقت البناء ، إلى أربعة أمثال المواد والوقت التى يحتاجها البناء نفسه . ثم ماذا كان يستطيع هؤلاء البناة العظام أن يفعلوا ، إذا ما بلغوا قمة الهرم ، وقد ضاق الطريق عندها ، فلم يتجاوز عرضه ٣ ياردات ؟!

هناك بالطبع أسئلة كثيرة ، والعلوم والتكنولوجيا الحديثة لا

تزال تدرس هذه النقاط ، وتحاول أن تجيب عنها . وهذه الأسئلة ، وهذه المحاولات ، هى دليل إعجاز قدماء المصريين وتفوقهم . حتى أن بعض الناس قد ظن ، أن « قوة أخرى خارجية » وليس قدماء المصريين هم الذين بنوا الأهرامات . وان هذه القوى قد هبطت خصيصاً على الأرض لبنائها ، ثم « عادت إلى الكواكب الأخرى » . واعتبر آخرون أن هرم خوفو الأكبر يحتوى على « أسرار » . وأنه يمكن التحكم منه فى الكون .

والتنبؤ عن طزيقه بالمستقبل . وظن بعض علماء القرن التاسع عشر (مثل جون تيلر وبياتزى سميث) أن الغرض الأساسى من بناء الأهرامات ، كان حفظ الغلال ، أو استطلاع النجوم ، أو قياس مساحة العالم الخ . وليس فقط دفن فرعون ونفائسه .

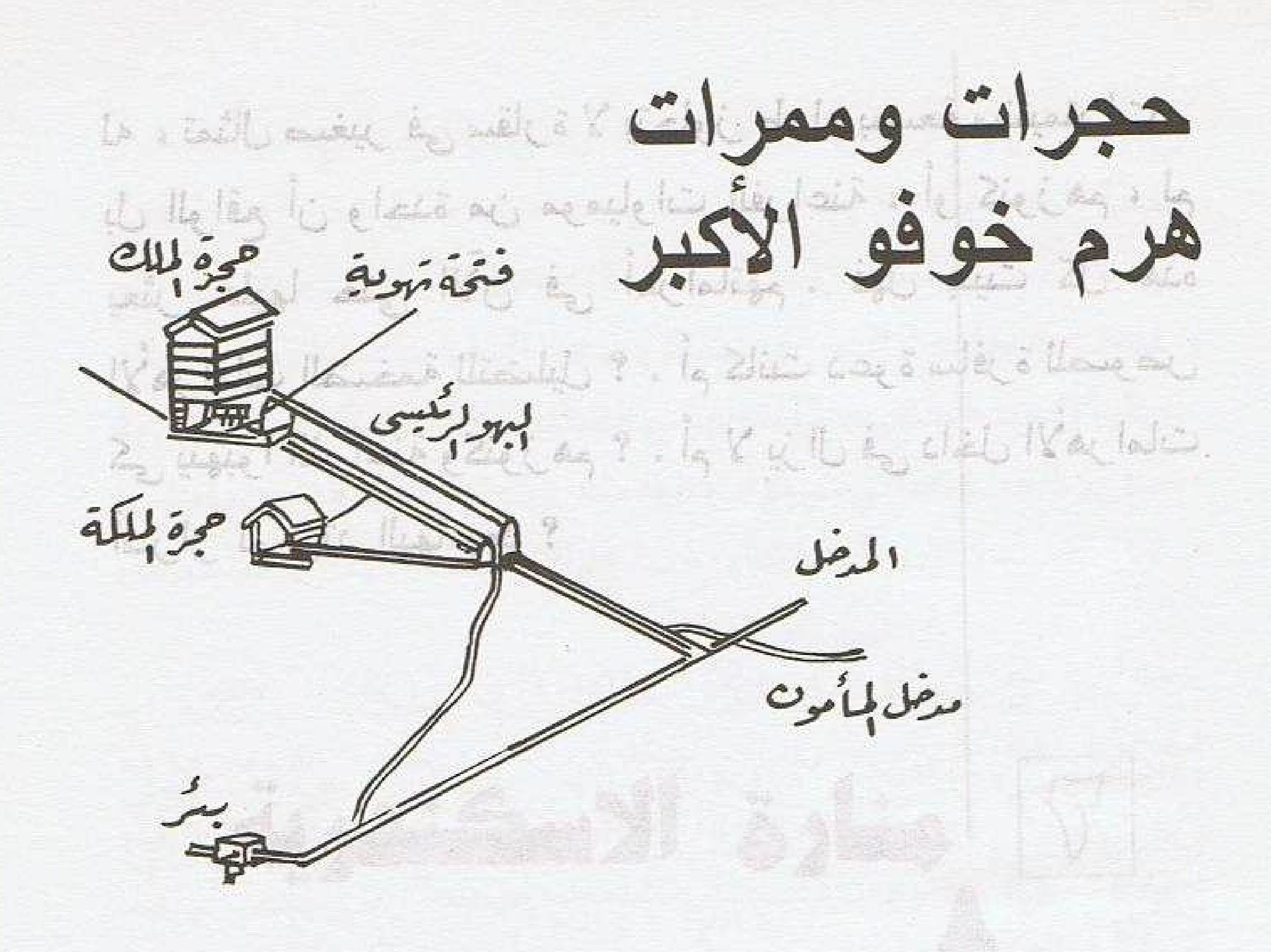
وربما كان شىء من هذا قد تبادر إلى ذهن الخليفة المأمون ، حين أرسل رجاله فى عام ٨٢٠ ، للتوصل إلى أسرار ونفائس هرم خوفو الأكبر . وكان مدخل انهرم مختفياً عن الأنظار . وهو فى الناحية الشمالية من الطبقة ١٣ ، بارتفاع ٥٥ قدماً من الأرض . ففتح عماله فتحة فوقه بقليل . وشقوا طريقهم خلال أحجاره الرملية . حتى صادفوا الممر المؤدى إلى البئر السفلى .

وهناك لم يجدوا شيئا . فقفلوا راجعين . وفى طريق عودتهم صادفوا الممر المؤدى للبهو الرئيسى . فتتبعوه حتى حجرة الملكة . ثم حجرة الملك . ولم يجدوا فيهما أيضا شيئاً .

فأين ذهبت مومياء خوفو ؟ . وأين ذهبت النفائس التى دفنت معها ؟

وهل دُفن خوفو فى هذا الهرم الأكبر ، أم دُفن فى مكان آخر ؟ وإذا كان قد دُفن فيه ، فهل سرق اللصوص مومياته

حجرات وممرات هرم خوفو الأكبر



وكنوزه ، أم لا تزال مختفية داخل حجرة لا نعلم عنها شيئا بعد ؟

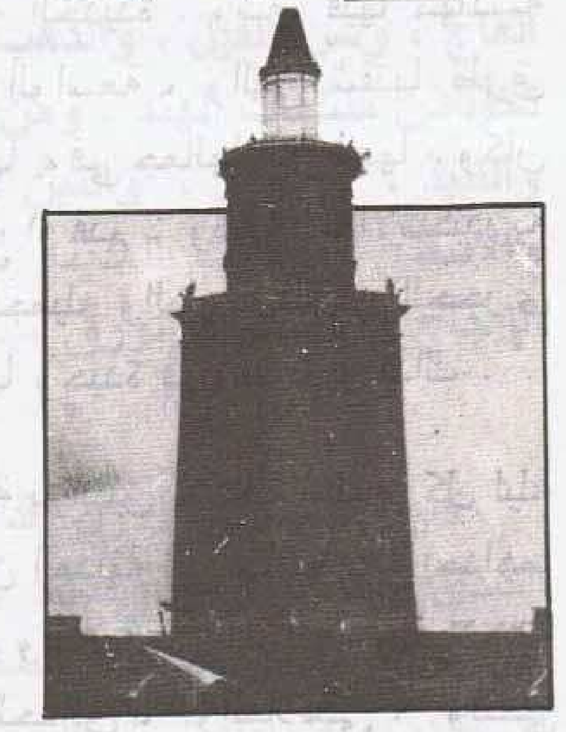
لقد ظن « بركهاردت » ، منذ أوائل هذا القرن ، أن النية كانت قد عقدت على أن يدفن الملك فى حجرة أسفل بناء الهرم ، تقود إليها سلالم لم يتم بناؤها . فلما صرف النظر عن هذه الفكرة ، صُمم ممر آخر ، يصعد فى الهرم ، ويؤدى إلى حجرة الملك .

وأما البئر السفلى ، فقد ظن « بركهاردت » أنها قد أعدت كى يخرج منها بناة الهرم ، بعد أن يضعوا مومياة الملك فى حجرته ، ويغلقونها عليه من الداخل .

ولكن أحداً لم يعثر بعد على مومياة خوفو وكنوزه . سواء فى الحجرات داخل هرمه الأكبر أو فى غيرها . وكل ما عثر عليه

له ، تمثال صغير فى سقارة لا يتجاوز طوله بضعة سنتيمترات . بل الواقع أن واحدة من مومياوات الفراعنة ، أو كنوزهم ، لم يعثر عليها حتى الآن فى أهراماتهم . فهل بُنيت كل هذه الأهرامات الضخمة للتضليل ؟ . أم كانت دعوة سافرة للصوص كى ينهبوا الفراعنة وكنوزهم ؟ . أم لا يزال فى داخل الأهرامات أسرار لم نهتد إليها بعد ؟

٢ منارة الاسكندرية



وهذه الأعجوبة الثانية من أعاجيب « فيلون » السبع ، تقع أيضا فى مصر . فإن الاسكندر الأكبر ، عندما دخل مصر فى عام ٣٣٠ ق . م (أى بعد حوالى ٢٠٠٠ سنة من بناء هرم خوفو الأكبر) أراد أن يبنى مدينة جديدة وعظيمة ، تحمل اسمه ، وتخلده فى التاريخ . وقد اختار موقع قرية صغيرة للصيد ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وفى الناحية الغربية من النيل ، هى راكودة . كان إلى شمالها جزيرة صغيرة ، هى فاروس .

وقد مد مهندسو الاسكندر من جزيرة فاروس ، إلى الشاطىء المقابل لها عند راكودة ، جسراً حجرياً . وقد خلق هذا الجسر ميناءين كبيرين . الأول هو الميناء الداخلى العظيم فى الشرق . وهو ميناء الاسكندرية القديم . والثانى هو ميناء « العود الحميد » فى الغرب . وهو الميناء الحالى بها . ووجد مهندسو الاسكندر أن الميناءين لا يتأثران بتيارات البحر الأبيض المتوسط الشرقية ، ولا يحتاجان لهذا السبب إلى كسح وعناية دائمين .

وجدير بالذكر ، أن الاسكندر الأكبر ، لم يلق ، بعد أن اختار موقع مدينته ، نظرة أخرى عليها . وان عبء إنشائها والعناية بها ، قد وقع على وريثه وقائده السابق بطليموس الأول . وقد جعلها بطليموس عاصمة مملكته الجديدة . وشق فيها مهندسه دينوقراطس الشوارع الكبيرة والواسعة ، والتى شقتها طرق أخرى متقاطعة عليها ، ومماثلة لها ، فى جمالها واتساعها . وكان عرض بعض هذه الشوارع ١٠٠ قدم . وتميزت الاسكندرية القديمة أيضا ببناياتها الحجرية الجميلة والملونة باللون الحجرى الأبيض الذى ظهرت به وجعلتها وحيدة فى العالم وقتذاك .

وقد جعل دينوقراطس للمدينة بوابتين . كانتا تغلقان كل ليلة على أبنائها ، ويطرد الأجانب من المدينة إلى خارجها . إحداهما فى الشرق ، وهى بوابة الشمس . والثانية فى الغرب ، وهى بوابة القمر . وأنشأ المتاحف ، والحدائق ، والملاهى . وبنى النافورات ، ووزع النبيذ فى شوارعها . وأقام جامعة كبرى بالمدينة . استقدم لها العلماء من كل مكان فى العالم . وكان أساتذتها يحصلون على أجورهم من الدولة ، ويتفرغون للبحوث وللتدريس ، من دون أن يسألهم أحد شيئا . وأقام « المكتبة » التى اشتهرت بعد ذلك شهرة واسعة . إذ كان بها مئات الألوف من الكتب . وقد أجبر بطليموس الثانى كل من حضر للاسكندرية

ومعه كتاب ، أن يسلمه لمكتبتها ، وأن يحصل بدلا منه على مخطوطة منه .

وقد أقام بطليموس للاسكندر الأكبر مدفناً هائلاً بالاسكندرية . وأقامت كليوباترا فيها معبداً لحبيبها أنطونيو . وامتلأت حديقة حيوان المدينة بأغرب الحيوانات والطيور والأسماك . وكان بها ممثلون وجاليات لكل شعوب العالم . وكان لكل جالية منها معبد خاص يتعبدون فيه كيفما شاءوا . وقد كتب عالم الآثار الانجليزى « بيل » فى بداية هذا القرن :

« وقد تدفق على الاسكندرية القديمة العلماء ، والشعراء والباحثون ، والتجار ، وجنود البر والبحر ، والزراعيون والسياح . وامتلأت أرصفة مينائها ببضائع العالم . ومنها العاج ، وسن الفيل ، والذهب ، والتوابل ، من أفريقيا . ولم تخل من منتجات الهند . ومن الجزر اليونانية ، جاء الزيت ، والنبيذ ، والعسل ، والتين ، والسمك المملح ، واللحم ، والأسفنج ، وكانت المدينة تنتج ، على وجه الخصوص ، الزجاج والأقمشة والورق ».

* * *

وكان بطليموس الأول قد أمر مهندسه « سوستراتوس الكندى Sostratus Of Cindus » ببناء منارة المدينة على طرف جزيرة فاروس المواجهة للناحية الشرقية للمدينة . ولم تكن الاسكندرية قد امتدت شرقا ، إلى ما وصلت إليه الآن ، على ساحلها الرملى . وكانت نهايتها قبالة السلسلة الحالية .

وقد بدأ « سوستراتوس » عمله على الفور . وأطلق على المنارة اسم الجزيرة التى بنيت عليها « فاروس » . وتم بناء المنارة ، أو الفنار ، فى عهد خلفه بطليموس الثانى . ويلاحظ أن اسم المنارة قد أخذ فى كثير من لغات العالم عن اسم هذه

الجزيرة . فهو Phare فى الفرنسية و Faro فى الإيطالية . وانه قد أخذ منها أيضا اسم المأذنة فى كثير من هذه اللغات Minaret . بل وتأثرت كثير من بنايات مساجد مصر والعالم بطريقة بنائها . فهى مربعة فى أسفلها ، ثم مثمنة ومستديرة فى أعلاها .

وقد تألفت منارة الاسكندرية من بناء ضخم من الأحجار الجيرية . التى صُب بينها الرصاص لمنع تسرب المياه . وقُدر ارتفاعها بحوالى ٤٠٠ قدم . وقد بُنيت فوق صخور البحر . وأحاطها فناء ذو أعمدة من الجرانيت . وتألف الفناء من أربعة أقسام ، تحيط بها الشرفات المزينة بالرخام والبرونز .

ويقوم القسم الأول على مربع . ويمتد مستطيلا حوالى ٢٠٠ قدم . ويتألف من ٣٠٠ حجرة ، تطل على البحر بمئات النوافذ . وقد استخدمت هذه الحجرات لسكنى العمال والإداريين ، ولحفظ الضروريات . وحُليت أركان هذا القسم بتماثيل برونزية تمثل إله البحر تريتون .

والقسم الثانى مثمن الشكل ، ولا يزيد ارتفاعه على ١٠٠ قدم .

وأما القسم الثالث فمستدير . ويبلغ ارتفاعه حوالى ٥٠ قدماً .

وفى القمة ، يأتى المصباح ، الذى يبلغ طوله حوالى ٥٠ قدما أخرى . وتعلوه قبة مقامة على أعمدة ، فوقها تمثال ضخم لإله البحر بوسيدون . والمصباح دائم الاشتعال . وهو « يشع النور فى الليل ، ويخرج منه الدخان طوال النهار » وخلفه مرآة من « حجر شفاف ، ربما كان هو الزجاج » . وتجعل المرآة النور ، أو الدخان ، مرئيا « على بعد ٥٠٠ كيلو متر فى البحر » .

ويحيط بالمنارة طريق مستدير ، يصعد على جوانبها ، حتى قمتها . وتنقل الدواب فوقه الوقود والمؤن .

وقد بقيت المنارة قائمة بعملها فى إرشاد السفن حتى الفتح العربى لمصر عام ١/ ٦٤٢ . فتدهورت أحوالها . ثم سقط مصباحها فى عام ٧٠٠ . ويذكر المسعودى فى هذا رواية غريبة . يقول :

« إن الامبراطور البيزنطى فى ذلك العهد ، أراد غزو مصر . ولكنه كان يعلم أن المنارة السحرية ستكشف عن أسطوله وهو فى عرض البحر ، وقبل بلوغه الاسكندرية . فيتأهب المدافعون فيها لملاقاته . فأرسل جاسوساً للخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، يخبره فيها بأن الاسكندر الأكبر قد أخفى كل كنوزه من فتوحاته الكثيرة ، تحت بناء المنارة . فخُدع الخليفة بهذا القول . وأمر بهدمها . ولكن أهالى الاسكندرية ، أقنعوه بعد ذلك ، بمجافاة هذا القول للحقيقة . وكان قد تم هدم الطابقين العلويين . فترك الباقى منها » !

وجدير بالذكر أن المؤرخين العرب قد رددوا أساطير كثيرة عن منارة الاسكندرية . منها قول المسعودى والمقريزى « إن من يجلس تحت المرآة ، يمكنه أن يرى السفن البعيدة ، والتى تصعب رؤيتها بالعين المجردة ، وهى فى عرض البحر » . أى أن المرآة كانت مرآة عاكسة ومنظاراً مقرباً فى وقت واحد . وذكر ابن بطوطة والمقريزى ، أن التمثال الذى فى أعلى المنارة « يشير بسبابته اليمنى إلى مكان وجود الشمس بالسماء ، ويتبعها فى سيرها » . وأن هناك تمثالا آخر « يشير بيده إلى البحر ، ويرشد إلى المكان الذى يتقدم منه العدو صوب المدينة ، حتى ولو كان الوقت ليلا ، فإنه يقوم بإطلاق صرخات مدوية تُسمع من بعيد ، وتكون نذيراً لأهل المدينة كى يتخذوا حيطتهم . وتمثال ثالث

يطلق صرخة فى كل ساعة من ساعات النهار والليل ، وكل صرخة من هذه الصرخات تختلف عن سابقتها » !

وذكر المقريزى : أن كل من دخل المنارة اختل وضل الطريق ، مما بها من الغرف والطبقات والمماشى ! . وقال السيوطي : إن عرض المنارة كان ٧ أذرع . وأنها كانت تظهر السفن الآتية من بلاد أوروبا ، وتحرق الأعداء منها . « فكان الموكلون بها يديرونها نحو الشمس ، وهى مائلة للغرب ، فتعكس إليها الأشعة ، وتحرق سفن العدو » !

* * *

وقام ابن طولون فى عام ٨٨٠ بترميم المنارة . وأقام فى مكان القبة الحجرية القديمة ، قبة أخرى من الخشب . و « لكن الرياح عبثت بها » .

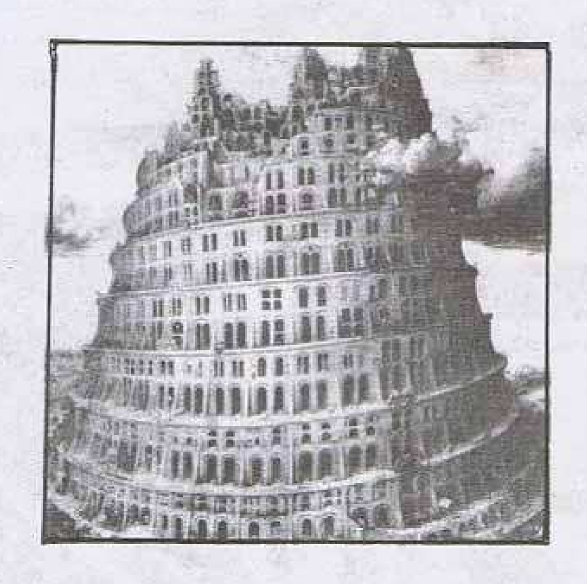
وفى حوالى عام ١١٠٠ ، سقط القسم الثانى المثمن الشكل . ولم يبق من بناء المنارة غير القسم الأول المربع الشكل . وقيل إنه قد شيِّد فوقه مسجداً .

وفى القرن الرابع عشر أتت الزلازل على ما بقى منها . وقد صادف وقوع هذه الزلازل ، فى عام ١٣٤٩ ، وصول ابن بطوطة من بلاد المغرب إلى مصر ، فوصف وقوع أحجار المنارة فى البحر . حيث يقال إنها لا تزال موجودة .

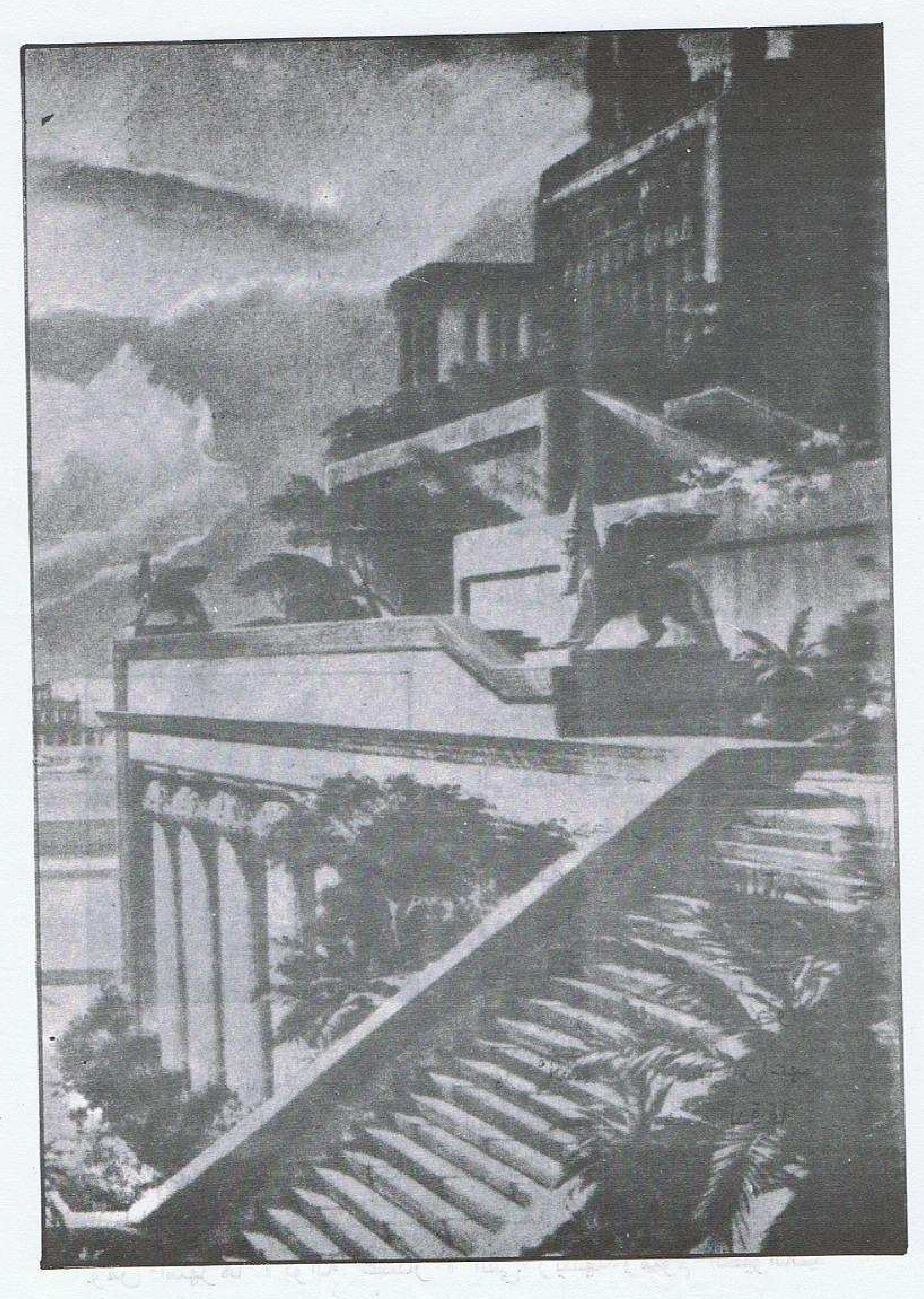
وقد أقام قايتباى فى عام ١٤٨٠ ، حصنه الشهير على انقاض المنارة القديمة . وهدم الانجليز هذا الحصن فى عام ١٨٨٢ . ثم جدده محمدعلى بين الأعوام ٥ / ١٨٤٨ .

حدائق بابل المعلقة





قامت مملكة بابل ، فى منطقة ما بين النهرين ، عندما هاجر إلى هذه المنطقة السومريون . وكانت حضارتهم حضارة زراعية ، فشقوا القنوات ، وزرعوا أشجار النخيل ، والفاكهة ، والقمح ، فى أراضٍ واسعة ، على طول نهرى دجلة والفرات . وقد اشتهر السومريون باختراعهم للعجلة . وبالكتابة المسمارية . وأتقنوا الأشغال الذهبية الدقيقة . وذاع عن عاصمتهم الجمال ، وفساحة الشوارع ، وروعة البنايات . وكل يحيط بها أسوار عظيمة ، تفتح فيها البوابات . ومن ،أشهرها « بوابة عشتار » التى زينتها رسوم الحيوانات المختلفة ، وخصوصاً الأسود .



وكان يشرف على عاصمتهم برج بابل . ويشرف على أكثر مدنهم الأخرى أبراج أخرى أصغر . والحق أن الحضارة البابلية اشتهرت بالأبراج الطينية . وكانت من مكعبات كبيرة . وتتألف من الآجر النيىء أو المحروق . وعلى جوانبها شرفات مدرجة . وتصعد إلى اطباقها العليا سلالم حلزونية . وقد اتخذوها أماكن للعبادة . وكانوا يقومون بمراسيم عباداتهم فى قمة هذه الأبراج .

وهكذا نرى أن حدائق بابل المعلقة ، لم تكن شيئا فريداً ، يقتصر وجوده على عاصمتهم . وإنما كان منظرها متكرراً فى أنحاء بابل . فإن موطن البابليين الأول ، كان كما ذكرنا ، هو جبال فارس . حيث تعودوا إقامة معابدهم المدرجة فوق جبالها ، واجراء صلواتهم فى هذه الأبراج . فلما انتقلوا إلى حوض نهرى دجلة والفرات ، وهى أرض سهلة وخصبة وواسعة ، أخذوا معهم عاداتهم الفارسية . فأقاموا معابدهم فى تلك الأبراج الطينية التى أقاموها على أرضها .

ويقال إن هذه الأبراج لم تكن شيئا ، إلى جانب السور العظيم الذى أحاط بالقصر الملكى . وكانت الملكة سميراميس قد بدأت هذا السور . ثم جاء الملك نيبو كادنيزار ، فمده كى يشمل المدينة ، ويحيط بمعابدها وقصورها وبواباتها وحدائقها . وجعل عرضه كبيراً ، بحيث يسمح لعربتين متقابلتين تجرهما الخيول بالسير فوقه .

ولم تكن أبراج بابل أيضا شيئا ، إلى جانب قصر الملك ، ومعبد الإله ماردوك ذى الثمانية أطباق .

ومع ذلك اشتهرت حدائق بابل المعلقة بجمالها وتفردها فى ميدانها .

وتقول الاسطورة إن الملك نيبو كادنيزار ، قد تحالف قبل الميلاد بحوالى ٧ قرون مع ملك ميديا ، فى حرب الأخير مع الأشوريين . فلما انتصرا فى هذه الحرب ، كافأه ملك ميديا بتزويجه بابنته الرائعة الجمال . ولكن العروس صُدمت عندما زارت بابل ، من امتداد سهولها ، وخلوها من الجبال الخضراء ، وهو ما كانت قد تعودت على منظره فى بلادها .

فلما رآها الملك نيبو كادنيزار حزينة ، وأراد أن يدخل السرور على قلبها ، أمر ببناء حدائق بابل المعلقة أمام نافذتها فى قصره . حتى إذا نظرت عروسه من نافذتها ، تذكرت المنظر الذى اعتادته فى حياتها السابقة ، واطمأن قلبها .

وقد اقيمت حدائق بابل المعلقة فوق شرفات طوبية من مبنى ذى ثمانية طوابق . يستند إلى أقواس حجرية فى أسفله . وقد قطعت أحجاره من أمكنة بعيدة . ونقلت آلاف الكيلو مترات . وارتفع البناء حوالى ٣٥٠ قدما . وأحاطه طريق دائرى يستخدمه الإنسان والحيوان ، ثم زرعت الشرفات بالنباتات والأشجار ، التى حملت الفروع والأوراق والثمار . ولما لم يكن هناك مطر مستمر فى بابل ، فإن الماء كان يرفع من بئر فى أسفل المبنى ، عن طريق الروافع ، التى كان يحركها العبيد أو الحيوانات . وقد أقيمت أسقف الشرفات من الأعشاب المسفلتة ، التى تمنع تسرب الماء .

وقيل إن الملكة كانت كثيراً ما تجلس تحت الأقواس الحجرية الرطبة أسفل طبقات البناء . وأن درجة الحرارة تحت هذه الأقواس كانت منخفضة بدرجات عن درجة الحرارة فى أنحاء

بابل . حتى أن الملك قد أمر بأن تخزن الأطعمة والحبوب فى داخلها للمحافظة عليها .

وقد زار « هيرودوتس » الحدائق فى حوالى عام ٤٦٠ ق . م وكتب يقول :

« فى وسط ذلك المكان ، اقيم برج عتيد . قاعدته مربعة . وطول كل ضلع من ضلوعه حوالى ٢٠٠ ياردة . ويعلو هذه القاعدة برج ثان ، وبرج ثالث ، وهكذا ، إلى أن يصل عدد الأبراج إلى ثمانية . ويمكن الوصول إلى هذه الأبراج بواسطة طريق حلزونى خارجى . وفى حوالى منتصف الطريق تقريبا ، وضعت مقاعد . يستطيع أن يستريح فوقها من أتعبهم الصعود . ثم يتابعون بعد راحتهم صعودهم . وفى البرج الثامن ، يوجد سرير وثير ، بجانبه منضدة ذهبية . ولا يقضى الليل فيه أحد » .

ويقال إن أحوال الحدائق قد اهملت بعد وفاة الملك نيبو كادنيزار . ثم تهدم الجزء الأكبر منها . وعندما مر الاسكندر الأكبر بالمكان ، قبيل وفاته فى عام ٣٢٥ ق . م ، أعجبه ، وأراد أن يجعل منه عاصمة لمملكته الشرقية . وأمر بإعادة بناء حدائق بابل المعلقة . ولكن العمل توقف بعد وفاته . وتهدم المكان تماما عند دخول الملك سيروس الفارسى بابل فى القرن الخامس .

وفى أواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحالى ، قام

العلماء الألمان والانجليز ، بقيادة كولدوى وولى ، بحفريات كثيرة للاهتداء إلى آثار هذه الحدائق . وقد اشترك فى هذه الحفريات المتحف البريطانى بلندن وجامعة بنسلفانيا الأمريكية .

واهتدى الباحثون إلى أبنية برجية ، وأحواض طينية كثيرة ، عليها كتابات مسمارية . وعثر كولدوى على الأحجار التى كونت أساسات الحدائق . وعلى سبع حجرات أرضية كانت تستخدم للتخزين . وعلى البئر التى كانت تروى بمائها تلك الحدائق .



٤ تمثال رودس العظيم



تقول الأسطورة إن تمثال ردوس العظيم ، كان تمثالاً كبيراً جداً . وقد أقيم على مدخل ميناء جزيرة رودس ، تكريماً لإله الشمس هليوس « أبوللو » . وارتكزت كل قدم من قدمى التمثال على إحدى ناحيتى المدخل . وامتدت الساقان فوقه . بحيث حملتا جسم هليوس عاريا ، وعاليا فى السماء . وهو ماد ذراعه . وقد حمل فى نهايتها شعلة مضيئة ، ترشد السفن التى تمر فوق مياه البحر إلى مدخل الميناء بين ساقيه .

وقد اقيم على جانب التمثال سلم حلزونى ، يدور على جانبه الصاعد ، حتى يبلغ الشعلة الممدودة فى يده لرعايتها وتزويدها بالوقود .

هذه هى الأسطورة ، وأما الحقيقة ، كما وصفها مشاهدوها منذ اقيم التمثال فى عام ٢٨٠ ق . م ، فتختلف كثيراً عما ذكرناه . وقد كتب « بلينى » السابق الإشارة إليه :

« ومن أعظم ما يستحق الإعجاب ، تمثال رب الشمس العظيم الذى كان فى رودس . وقد صنعه تشارز الليندانى Chares the Lindian وطوله ٧ كوبيتات . ولكن زلزالا ألقاه على الأرض بعد ٥٦ سنة من إقامته (أى فى عام ٢٢٤ ق . م) . ومع ذلك ، فإننا لا نملك ، ونحن نراه ملقى على الأرض ، إلا العجب له ، وتخيل الخيالات بشأنه . فإن قلة قليلة من الرجال هى التى تستطيع إحاطة إبهام التمثال بذراعيها . وكل أصبع من أصابع يديه أو قدميه فى حجم تمثال كامل . وحيث كسرت الساقان ، نرى فى داخلهما كهوفا واسعة . وفى الداخل أيضا نرى كتلا مربعة من الصخور التى ساعدت الفنان على إقامة تمثاله » .

ويؤيد « فيلون » كلمات « بلينى » ، فيقول :

« وفى رودس ، أقيم تمثال عظيم لرب الشمس هليوس . ارتفاعه ٧ كويبتات . وقد استخدم من البرونز فى سبكه ما سبب قحطا فى المصاهر . وكان نجاح الفنان فى صناعته مفخرة له ولشعبه . وقد اقيم التمثال البرونزى على هيكل من الحديد . وصلبه صانعه بكتل مربعة من الأحجار ، ثم اقامه على قاعدة من الرخام الأبيض . ولنصبه ، اقام الأقدام أولا

فوق القاعدة ، ثم أضاف إليها أجزاء التمثال ، جزءًا بعد آخر ، على ما يبنى البناء بناءه » .

ويتضح من كلمات « بلينى » و « فيلون » وغيرهما ممن شاهدوا التمثال أن تمثال رودس العظيم ، كان تمثالا عارى الجسم لإله الشمس هليوس « ابوللو » . ولكن ارتفاعه لم يزد على ١٢٠ قدماً . يضاف إليه ٣٠ قدماً أخرى للقاعدة . فيكون المجموع هو ١٥٠ قدماً . وقد قُدر محيط صدره بحوالى ٦٠ قدماً . وفخذه بحوالى ١١ قدماً . مما يجعل التمثال فى مثل قدر حجم الإنسان حوالى ٢٠ مرة .

ويتضح أيضا أن قدمى التمثال ، لم تنفرجا فوق مدخل الميناء . وإنما التمثال قد أقيم بأكمله فوق بروز يطل على الناحية الشرقية لمدخل الميناء .

وأما السبب فى اقامته ، فهو تخليد انتصار الجزيرة على المقدونيين الذين حاولوا غزوها . فإن رودس كانت على علاقات تجارية وثيقة باسكندرية بطليموس . وقد ساعدته فى حربه ضد مقدونيا . ولهذا حاول المقدونيون ، بزعامة ديمتريوس ، غزوها . ولكن بطليموس هب لنجدتها فى عام ٣٠٦ ق . م . فانسحب المقدونيون إلى بلادهم . وقد خلدت الجزيرة ذكرى هذه الحرب ، باطلاق اسم سوتر (المخلص) على بطليموس . واقامة تمثال لرب الجزيرة « هليوس » من بقايا آلات الحرب البرونزية التى تركها المقدونيون خلفهم .

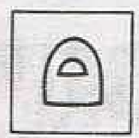
ومع أن التمثال قد جاء جميلا ، وفريداً ، ومتناسب الأعضاء ،

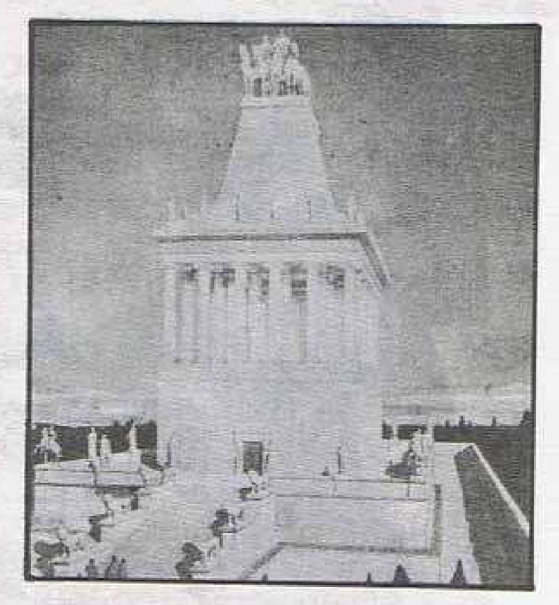
فإن صانعه ، تشارز الليندانى ، أحس حين فرغ منه ، أنه قد أخطأ فى بعض تفاصيله . فانتحر .

ثم جاء الزلزال الذى تحدث عنه « بلينى » فى عام ٢٢٤ ق . م ، أى بعد ٥٦ سنة من إقامة التمثال ، فحطمه . ويقال إن الروديسيين قد حاولوا إعادة إقامته ، فلم يوفقوا . وان وفداً من علماء الاسكندرية قد حاول هذا أيضا دون توفيق . وبقى التمثال مطروحا على الأرض ، حتى عام ٦٦٧ ، حين دخل العرب الجزيرة .

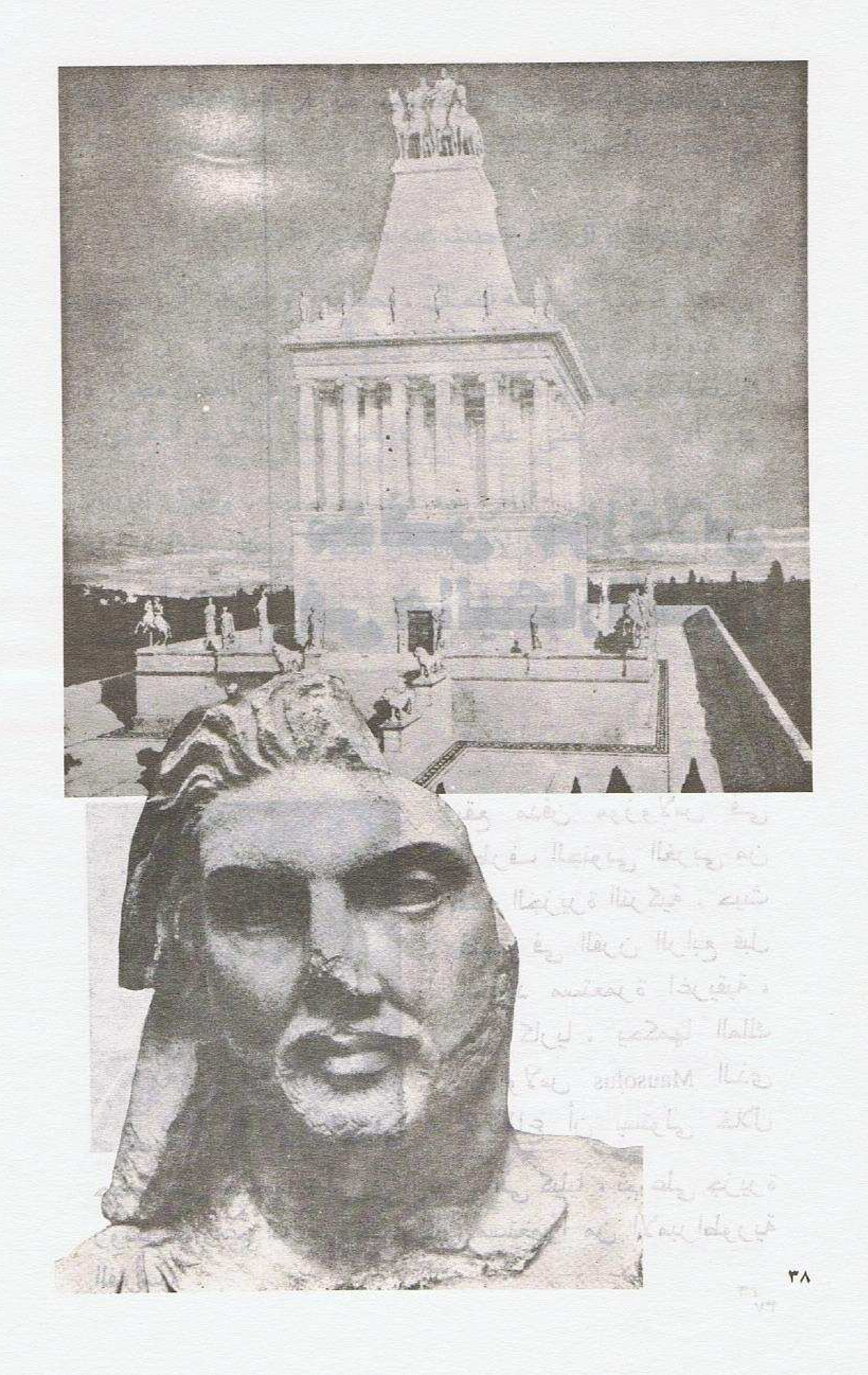
فاستخدموا البرونز الباقى فيه فى أغراضهم . ويقول ليونارد كوتريل انهم قد باعوه لأحد التجار اليهود . وكان مقداره ٣٠٠ طن . حملها فوق ٩٠٠ جمل .

مدفن موزولاس في هاليكارناسيس





يقع مدفن موزولاس فى الطرف الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة التركية . حيث قامت فى القرن الرابع قبل الميلاد مستعمرة اغريقية ، هى كاريا . يحكمها الملك موزولاس Mausolus الذى استطاع أن يستولى خلال حكمه على مستعمرة أخرى قريبة ، هى كيليا ، ثم على جزيرة رودس . رغم انه هو نفسه كان مستعمرًا من الامبراطورية الفارسية .



وعندما توفى موزولاس فى عام ٣٥٣ ق . م ، أرادت زوجته المخلصة ارتيميزيا Artemesia أن تخلد ذكراه ، ببناء هذا المدفن الرائع . فاستقدمت أفضل مهندسى اليونان ، ومنهم ساتيروس وبيثيا . وأقدر مثاليهم ، وعلى رأسهم سكوباس . كى يبنوا مدفنه .

ومع أن ارتيميزيا قد توفيت بعد وفاة زوجها موزولاس بعامين ، فإن العمل قد استمر فى المدفن حتى نهايته . وجاء المدفن ، على صغر حجمه ، جميل البناء ، رائع الزينة . وقد أعطى بعد ذلك اسمه ، وبعض شكله ، للمدافن الكبرى فى أنحاء العالم . فيقال عنها إنها موزوليم Mausoleum .

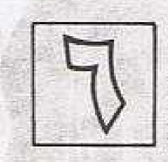
ويقع مدفن موزولاس ، فوق أرض مرتفعة ، خارج مدينة هاليكارناسيس ، تطل على مينائها ، ويتألف من فناء مستطيل ، يحيط به سور عال . وفى داخله سلالم رخامية ، على جانبيها ٦ تماثيل متشابهة للأسود . ويؤدى السلم الرخامى إلى فناء ثان ، وسور أقل ارتفاعا من الأول . تتناثر فوقه تماثيل الآلهة الاغريقية المختلفة . وفى وسط هذا الفناء الثانى ، يقع المدفن . وهو من ثلاث طبقات . الأولى هى المدفن الرخامى المستطيل الذى يضم رفات موزولاس ، وتزينه الرسوم الاغريقية . والثانى فوقه ، ويتألف من ٣٦ عموداً رخامياً ايونى الطراز ، تحمل فوقها بناء هرمياً ، جميل الصورة والزينة . ارتفاعه ٥٠ متراً . ويحيط به تماثيل أخرى مختلفة . وينتهى عند قمته بتمثال كبير لعربة تجرها أربعة خيول ، تحمل موزولاس وسيدة أخرى ربما كانت زوجته ارتيميزيا .

وكان مدفن موزولاس يرتفع عن الأرض بحوالى ١٤٠ متراً .

وقد استمر قائما فى موضعه حتى القرن الثانى عشر ، أى طوال ١٥ قرناً . ثم حطمه تماماً ، كما يقال ، زلزال عام ١٤٠٢ . ويقال أيضا إن الذى دمره ، هم فرسان سانت جون بالقدس . الذين أقاموا فى مكان المدفن حصناً حربياً مستخدمين أحجاره فى هذا الغرض . ويقال إن الحرب بين هؤلاء الفرسان والسلطان سليمان فى عام ١٥٢٢ قد قضت على البقية الباقية منه .

وفى عام ١٨٤٦ ، استطاع سفير انجلترا فى تركيا ، لورد اسبراتفورد ، أن يحصل على إذن السلطان فى حمل ما عثر عليه من مدفن موزولاس إلى المتحف البريطانى . وتبعه بعد ذلك بعشر سنوات ، أى فى عام ١٨٥٧ ، سير تشارلز نيوتون ، فحمل ما تبقى منه إلى هناك . وقد أعاد المتحف تشييد المعبد فى قاعة خاصة من قاعاته ، سماها « قاعة الموزوليوم » . ويستطيع الزائر للمتحف البريطانى بلندن أن يراه فيها كاملا إلى اليوم .

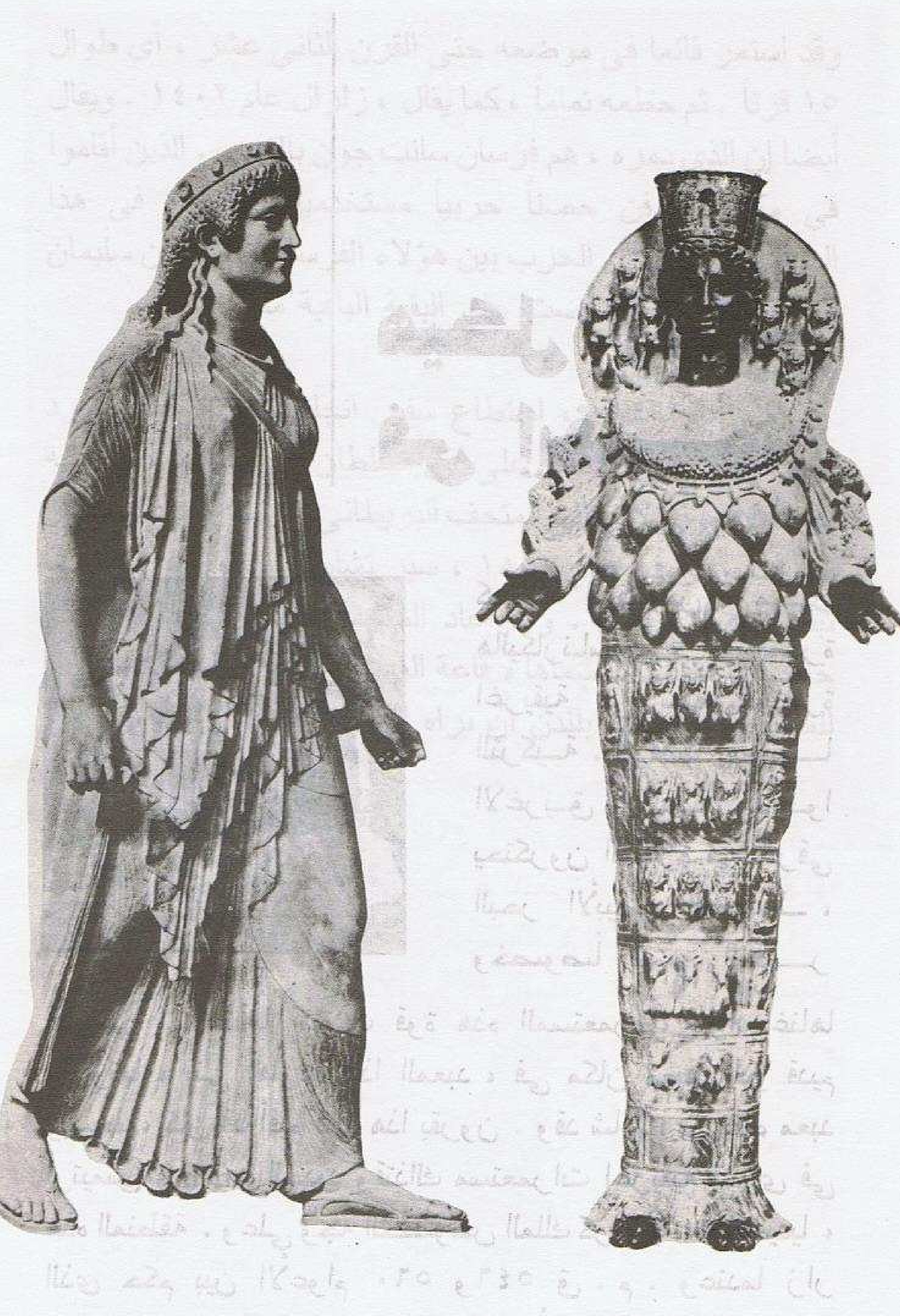
هيكل أرتيمس في إيفسوس



٦



كانت إيفسوس ، مثل هاليكارناسيس ، مستعمرة اغريقية فى شبه الجزيرة التركية . وقد سكنها الاغريق ، الذين كانوا يحتكرون التجارة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط ، وخصوصاً فى البحر الايبجى . وعندما اشتدت قوة هذه المستعمرة ، وزاد غناها وثروتها ، بنى أهلوها هذا المعبد ، فى مكان معبد آخر قديم وبسيط ، كان قد أقيم قبل هذا بقرون . وقد شارك فى بناء معبد أرتيمس Artemis الجديد وقتذاك مستعمرات اغريقية أخرى فى هذه المنطقة . وعلى وجه الخصوص الملك كروزيا ، ملك ليديا ، الذى حكم بين الأعوام ٥٦٠ و٥٤٦ ق . م . وعندما زار « هيرودوتس » المعبد بعد إعادة بنائه ، أبدى اعجابه الكبير به ، وأشار إليه فى كتاباته .



وقد اعتبر فيلون هيكل أرتيمس فى إيفسوس ، أعظم عجائب الدنيا السبع القديمة . مع انه كان بالطبع أقل ارتفاعا من هرم خوفو الأكبر ، ومنارة الاسكندرية ، وحدائق بابل المعلقة .ولم يكن إلا صورة مكررة ، وإن كانت رائعة ، من المعابد اليونانية الكثيرة ، التى بناها المستوطنون الإغريق لأربابهم فى هذه الأنحاء . ولكن هيرودوتس وفيلون كانا اغريقيين . وقد أثرت فى حكمهما بالطبع ديانتهما ، وحقيقة أن المعبد قد خصص لربتهما أرتيمس . وهى نفس الربة ديانا عند الرومانيين . ولكن صورة أرتيمس / ديانا اختلطت فى هذه المنطقة من العالم بالأساطير والديانات الآسيوية .

فإن أرتيمس كانت ربة الصيد عند الإغريق وابنة إلههم الأكبر « زيوس » من زوجته ليثو . وهى شقيقة « ابوللو » . وكانت صورتها عند الإغريق ، صورة فتاة رياضية ، وشابة ممشوقة القوام . وهى تظهر فى صورهم فى أشكال وملابس رياضية . وقد وضعت قوسها وسهامها فوق كتفها العارى . وخرجت فى رحلات صيدها بعزم ومقدرة .

ولكنها لما انتقلت إلى ايفسوس ، اختلطت ، كما ذكرنا ، بالأساطير الآسيوية . وفى متحف الفاتيكان بروما صورة لها توضح هذا الاختلاط . فإن نصفها الأسفل ، من الوسط حتى القدمين ، أصبح على شكل مومياء مصرية . ونصفها الأعلى ، مغطى بأثداء كثيرة . وقد كانت كما ذكرنا ربة للخصوبة . ويحيط بالرأس هالة « شمس » وفوقها « مخلوقات » تنظر إليها ويصعب تحديدها .

ويلاحظ أن هيكل أرتيمس ، قد استمر قائما قرونا بعد إعادة بنائه فى القرن السادس قبل الميلاد . ثم أحرقه الشقى المجنون

« هيرو ستراتوس » فى عام ٣٥٦ ق . م . وكان السبب الوحيد لذلك ، هو أن « هيرو ستراتوس » أراد أن يخلده التاريخ بهذا العمل ! . وقد عذب لفعلته حتى مات . وخلده التاريخ فعلا !

ثم أعيد بناء المعبد مرة أخرى . ويقال إن الملوك والرؤساء فى هذه المستوطنات الإغريقية ، قد قدموا لهذا الغرض كل ذهبهم . وأن التجار قد قدموا أموالهم . وأن النساء قد بعن حليهن . للانفاق منها على بنائه . ويقال أن الاسكندر الأكبر قد مر بالمكان خلال إعادة بنائه فى حوالى عام ٣٢٥ ق . م ، فعرض أن يدفع كل نفقاته ، وأن يطلق اسمه عليه ، ولكن سكان إيفسوس رفضوا ذلك باتاً .

وقد دمر الهيكل بعد ذلك ، واصلح ، مرتين . الأولى حين أحرقه الغوط فى غزوهم لإيفسوس فى عام ٢٦٢ ق . م . والثانية حين دمره ونهبه الشقى نيرون الذى عاش بين الأعوام ٣٧ و ٦٨ ميلادية . ثم لم تقم للمعبد بعد ذلك قائمة . وتحول المستوطنون الإغريق أنفسهم إلى المسيحية . وقامت مكان المعبد كنيسة . حل محلها بعد ذلك مسجد .

وقد شهد بلينى ، حين مر بالمكان ، أن المعبد كان مملوءًا بالتماثيل والصور التى صنعها أعظم النحاتين والمصورين . وانه كان بين التماثيل أعمال كثيرة لبراكزيتليس . وصور لإبيليس . وعندما مر القديس بولس ، بعد ذلك بحوالى ثلاثة قرون ، رأى الهيكل ، وشهد له بالجمال .

وقد شبه ليونارد كوتريل ، معبد ارتيمس فى إيفسوس خلال سنوات مجده ، بالفاتيكان فى روما . فقد ظل قبلة أنظار العالم المحيط به قرونا . وعمل فيه وأضاف إليه ، واستحضرت له ، أعظم أعمال المهندسين والنحاتين والمصورين طوال هذه القرون . ومما يذكر أن إبيليس قد رسم للاسكندر الأكبر صورته ،

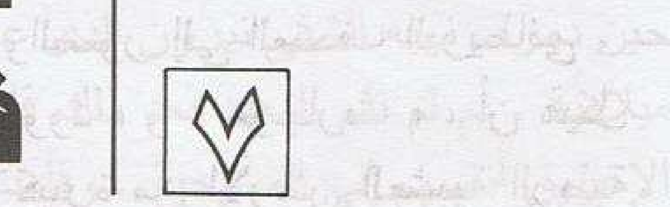
وذهب يعرضها عليه قبل تعليقها على جدران المعبد ، ولم يكن الاسكندر يأبه كثيراً لصوره . فأدار وجهه عنها . ولكن حصانه تعرف عليها حين رآها وأجفل ، فقال له إبليس قولته الشهيرة : إن حصانك يقدر صورتك بأكثر منك !

وقد ظل معبد أرتيمس فى إيفسوس مطموراً ، حتى عام ١٨٦٣ حين بدأ « وود » حفرياته هناك لحساب المتحف البريطانى . وقد كشفت هذه الحفريات التى استمرت حتى عام ١٨٧٥ ، أى طوال ١٢ عاما ، عن المعبد الأخير الذى بنى فى عام٣٢٣ ق . م . وقد أظهرت كشوفات هوجارت بعد ذلك بثلاثين عاماً ، أساسات أكثر عمقاً للمعابد الأخرى التى قامت قبله . وقد أرسل الاثنان خلال حفرياتهما آلاف التحف والآثار الذهبية ، والمعدنية ، والخزفية ، وبقايا الأعمدة ، والتماثيل ، والصور إلى المتحف البريطانى .

وقد اتضح من حفريات « وود » و « هوجارث » ، أن هيكل أرتيمس قد قام فوق مساحة كبيرة من الأرض العشبية الرطبة (لتجنب الزلازل) إلى جوار إيفسوس . وانه كان مرتفعا بحوالى ١٠ أقدام عن الأرض . وبعرض ٣٤٠ قدماً وطول ١٦٠ قدما . وبعض هذه الأعمدة كانت مطعمة بالمعادن وعليها رسوم ايوانية . وبعضها الآخر ملون بالألوان الزاهية . أى ان حجم هيكل أرتيمس كان فى حوالى حجم كاتدرائية سانت بول الحالية بلندن . وارتفاع أعمدته أربعة أضعاف أعمدة البارثينون الشهير بأثينا .

٧

تمثال زيوس فى أوليمبيا





تعود أهمية هذا التمثال إلى أن « زيوس - Zeus » كان الرب الأول « ملك الملوك » عند اليونانيين . وقد اصطبغ وجوده بعد ذلك بجوبيتر عند الرومانيين . ويقال إن فيدياس Pheidias هو الذى أقام تمثال زيوس فى حوالى عام ٤٥٦ ق . م ، فى الركن الجنوبى الغربى من معبد اوليمبيا Olympia الواقعة فى حضن جبال وسط البيلوبونيس .

ويلاحظ أن هذا المكان كان يشهد فى كل أربعة أعوام ، وطوال ألف سنة تقريبا ، الألعاب الأوليمبية ، التى كان ينظمها أبناء مدينة ايليس لجميع اليونانيين . وقد بدأت هذه الألعاب فى عام ٧٧٦ ق . م وانتهت فى القرن الثالث الميلادى . وكان أبناء مدينة ايليس يطوفون بأعلامهم ، قبل حلول ميعادها كل أربع



سنوات بجميع مدن وأنحاء اليونان . فيذكرون أبناءها بحلول ميعاد الألعاب . ويتقاطر هؤلاء على ايليس « طارحين عنهم جميع أسلحتهم » . حتى يجيىء ميعاد الألعاب ، وتكون أعدادهم قد اكتملت ، فيتوجهون جميعا إلى جبل اوليمبيا . وينصبون فيه خيامهم . ويكون الوقت صيفا ، فإن هذه الألعاب كانت تجرى فى شهر أغسطس أو سبتمبر ، فينام أكثرهم فى العراء .

ولا ينسى أبناء مدينة ايليس وضيوفهم ، أن يقدموا القرابين والهدايا لأرباب اوليمبيا . وعلى رأسهم زيوس وربما كان هذا هو السبب فى ان بناء فيدياس لتمثال زيوس ، قد أعقب بداية الألعاب بحوالى ثلاثة قرون .

ويتضح من كتابات بوسانياس ، وحفريات العلماء الألمان ، وعلى رأسهم كيريتوس منذ عام ١٨٧٦ ، أن تمثال زيوس كان مقاما فى الركن الجنوبى الغربى من معبد اوليمبيا . وانه كان يحيط به من كل جانب ١٣ عموداً ضخماً . وفى كل من الركنين الخلفيين له مجموعة من ٦ أعمدة أخرى . وكان يعلوه سقف مثلث الشكل من الرخام الأبيض . وتحيط به كوكبة من التماثيل الأخرى التى يضع بينها الزائرون قرابينهم وهداياهم .

وكان تمثال زيوس مقاماً فوق منصة ارتفاعها ٣ أقدام . وعرضها ٢٢ قدما . وكان التمثال يكاد يصل إلى سقف المعبد ، فقد كان ارتفاعه ٤٠ قدما . وقد صُنع من الخشب المطعم بالعاج والذهب . ولهذا كان أبناء صانعه فيدياس ، وأحفاده من بعدهم ، يندونه بصفة دائمة بالماء .

وكان زيوس يجلس على عرش من الذهب الخالص . والمطعم بالعاج وسن الفيل والأحجار الكريمة . وتستريح أقدامه فوق مسند ذهبى فى مثل ارتفاع قامة الواقفين أمامه . وكان يحمل في يده عصا من الذهب . وفى الأخرى رمز النصر فى الألعاب الأوليمبية . وكان زيوس يجلس على عرشه هادئاً وجميلاً .

وينظر إلى زواره بعيون ثابتة وسوداء . وقد وضع إزاراً من الصوف حول وسطه . وصفف شعره الذهبى فى دوائر ، وشذب شاربه ولحيته الأنيقين .

وقد حطمت الزلازل والحروب بعد ذلك هذه الأعجوبة السابعة والأخيرة . فلم يبق من التمثال شيئا . ولكن صورة زيوس استمرت بعد ذلك قرونا وهى تزين أكثر النقود الإغريقية القديمة .

سلسلة المكتبة العلمية للشباب

صدر منها :

١ ـ عجائب الأحياء .

٢ ـ أساطير البر والبحر .

٣ ـ كائنات ذكية وراء الفضاء .